﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: 102 - 103]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

ربطُ بيانِ الجزاءِ بحملِ الوزرِ ببيانِ حالِ المجرمين بعد الحشرِ

لمّا ذكرَ النَّظمُ الجليل يومَ القيامة، وجزاءَ المعرضين عن الذِّكر القويمِ؛ شرعَ في هذه الآية بشرح بعض أحوال ذلك اليوم من ابتدائِهِ[1]، فبيَّن حالَ المجرمين في حشرِهم للحسابِ في ذلك اليوم، فقال جلَّ شأنه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[2]، فأبان عن حالهم بازرقاق العيون، وسواد الوجوه، والذُّعر المهول، وخفوت الأصوات، والعجب من قصر الدُّنيا وضحالة الحياة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلصُّورِۚ﴾: (صور) كلماتٌ كثيرة متباينة الأصول، وليس هذا الباب بباب قياسٍ ولا اشتقاق، ومنه: الصُّورَةُ: ما ينتقشُ به الأعيانُ، ويتميَّز بها غيرها، وذلك ضربان: أحدهما محسوس، يدركه الخاصَّة والعامَّة بالمعاينة، كَصُورَةِ الإنسانِ والفرس، والثّاني: معقول يدركه الخاصَّة دون العامَّة، كالصُّورَةِ الَّتي اختصَّ الإنسان بها من العقل والرَّويَّة، والمعاني الَّتي خُصَّ بها شيء بشيء، أمّا الصّورُ؛ فهو قَرنٌ عظيم يُجعل في داخله سدادٌ لبعض فضائه، فإذا نفخَ فيه النّافخُ بقوَّةٍ خرج منه صَوت قويٌّ، وقد اتُّخذَ للإعلام بالاجتماع للحرب، والمقصودُ به هنا: قرن ينفخ فيه، فيجعل اللّه

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 341.
(2) طنطاويّ، التفسير الوسيط: 9/ 150.

سبحانه ذلك سببًا لعود الصُّوَرِ والأرواح إلى أجسامها[1]، وهو "قرنٌ يُنفخ فيه يُدعى به النّاس إلى المحشر"[2].

2) ﴿وَنَحْشُرُ﴾: (حشر) السَّوق والبعثُ والانبعاثُ، والحَشرُ: الجَمعُ مَعَ سَوقٍ، وكُلُّ جَمعٍ حَشرٌ[3]، حَشَرَهُم يَحشُرُهم ويَحْشِرُهم حَشْرًا: جَمَعَهُم، ومِنْهُ يَوْمُ المَحشَرِ، والحَشرُ: جَمعُ النّاسِ يَومَ القيامَةِ، والمَحشَرُ: المَجمَعُ الَّذي يُحْشَرُ إليه القَوْمُ، وكَذَلِكَ إذا حُشِرُوا إلى بَلَدٍ أو مُعَسْكَر أو نَحْوِهِ[4]، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: 47]، أي: جمعناهم، والحشر: الجمع، وقيل: الحشر: إخراجُ الجماعة عن مقرِّهم، وإزعاجُهم عند الحرب وغيرها[5]، والمعنى في الآية: جمعناهم إلى الموقف[6].

3) ﴿زُرْقًا﴾: الزُّرْقةُ في العَينِ، تَقُولُ: زَرِقَتْ عَيْنُهُ، بِالكَسرِ، تَزرَقُّ زَرَقًا، والزُّرقة: خُضرَةٌ في سَوادِ العَينِ، وقيلَ: هُوَ أن يتغشَّى سوادَها بياضٌ[7]، الزُّرْقَةُ: بعضُ الألوان بين البياض والسّواد، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: 102]، أي: عُميًا، عيونُهم لا نور لها[8]، وقيل: عطاشًا، وإنَّما قيل للعمى: زَرَقٌ؛ لأنَّ السّوادَ يزرقُّ؛ إذا ذهبت نواظرهم، وقولهم: عطاشًا، فجيِّد أيضًا؛ لأنَّهم من شدَّة العطش، يتغيَّر سوادُ أعينهم، حتّى يزرقَّ[9].

4) ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾: (خفت) الخَفتُ: إسرارُ النُّطقِ، وهوَ إسرارٌ وكِتمانٌ[10]، والخَفتُ والخُفاتُ: الضَّعفُ مِنَ الجُوعِ ونَحوِهِ، والخُفوتُ: ضَعفُ الصَّوت مِن شِدَّة الجُوعِ؛ يُقالُ: صَوتٌ خَفيضٌ خَفيتٌ، وخَفَتَ الصّوتُ خُفُوتًا: سَكَنَ، ولِهَذا قيلَ لِلْمَيِّتِ: خَفَتَ؛ إذا انْقَطَعَ كلامُه، وسَكَتَ، فهُوَ خافِتٌ، والإبل تُخافِتُ المَضغَ؛ إذا اجتَرَّتْ، والمُخافَتَةُ: إخْفاءُ الصَّوْتِ، وخافَتَ بِصَوْتِهِ: خَفَّضَه[11]، والمراد به في الآية الكريمة، أنَّهم يتكلَّمون خافضي أصواتهم من الهيبة والجزع[12].

(1) الرّاغب، المفردات: (صور).
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 98.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حشر).
(4) ابن منظور، اللّسان: (حشر).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: (حشر).
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 726.
(7) ابن منظور، اللّسان: (زرق).
(8) الرّاغب، المفردات: (زرق).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (زرق).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خفت).
(11) ابن منظور، اللسان: (خفت).
(12) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 342.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حشْرُ المجرمين بـأسـوأ حـال، ونـدمـهـم على انصرام حياتِهم واستقصارها

يُخْبِرُ النَّظمُ الكريم أنَّ اللّه تعالى بعظمته وجلاله سيحشرُ المجرمين، يوم يَنفخُ إسرافيلُ في الصّور النَّفخةَ الثّانية، ويجمعهم للحساب حالةَ كونهِم زُرقَ العيون من شدَّة الهول، أو كونِهم عُميًا، وإنَّ هؤلاء المجرمين يتهامسون فيما بينهم قائلين: ما لبثتم في قبوركم إلّا عَشرًا مِنَ اللّيالي أو الأيّام، استقصارًا لمدَّة لبثهم وسرعة انقضائها، وإظهارًا للنَّدم على ما كانوا مصرّين عليه من نفي البعثِ والحساب، فتبيَّن لهم أنَّهما حقٌّ، وأنَّ الأمر على الضِّدِّ ممّا كانوا يتوهَّمونه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل صدر الجملة عمّا قبلَها:

الاستـطـرادُ في تـقـريـع أسـمـاع المكذِّبين بأحوال اليوم العظيم

فصل النَّظم الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾؛ لأنَّها وقعت اعتراضًا بين الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ وما تبعها، وبين الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وأفاد هذا الاعتراضُ الاستطرادَ، في ذكر البعث والتَّذكير به، والنِّذارة بما يحصل للمجرمين فيه[2].

توجيهُ القراءات في: ﴿يُنفَخُ﴾ و﴿نَنفُخُ﴾:

تـعـظـيـمُ شـأن الـنَّـفـخ بكلتا القراءتين تأكيدٌ لـشـدَّةِ الـهـول وضخامته

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، قرأ الجمهور ﴿يُنفَخُ﴾ بياء الغيبةِ، مبنيًّا للمفعول، وقرأ أبو عمرو: ﴿نَنفُخُ﴾ بالنّون مبنيًّا للفاعل[3]، ووجه قراءة الجمهور: الدَّلالة على العظمة، بإجراء الكلام على طريقة الكبراء والقادرين، على أنَّ الفاعل ضميرٌ يعود للّه ﷻ، أو لإسرافيلَ عليه السلام، وإن لم يجْرِ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 150.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 303 - 304.
(3) أبو عليّ الفارسيّ، الحجّة: 3/ 543، وابن الجزري، النشر: 2/ 322.

له ذِكرٌ سابق اعتمادًا على شهرتِه[1]، ووجه قراءة أبي عمرو بنون العظمة، وإسناد النَّفخ إلى الله مجازٌ عقليٌّ، باعتبار أنَّه الآمر به، والمرادُ تعظيمُ شأن النَّفخ[2].

نكتةُ التَّصريح بـ﴿ٱلصُّورِ﴾:

النَّفخُ كائنٌ على وجه الحقيقة؛ ولذلك فُخِّم شأنُهُ

صرَّح النَّظمُ الجليل بلفظ الصّور، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، دون الاكتفاء بذكر النَّفخ وحسب، وذلك لتأكيد أنَّ المراد بالنَّفخ الحقيقةُ دون المجاز، فذِكْرُ آلةِ النَّفْخ دليل على كونه حقيقةً، كما أنَّ فيه دلالةً على تهويل شأنه، وتفخيم أمره بإظهار لفظه، ومفادُ العبارة: اذكر لقومكَ - يا محمَّد ﷺ - يوم ينفخُ إسرافيلُ في القرن الَّذي التقمه للنَّفخ، ونخرجُ المتوغِّلين في الإجرام والآثام المنهمكين فيها من مقابرهم[3].

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَنَحْشُرُ﴾:

النَّفخُ والحشر من أحداث يوم القيامة والأوَّل مسبَّب للثّاني

عطف النظم الكريم قوله: ﴿وَنَحْشُرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ﴾ بالواو العاطفة[4]، فجمع بين حالي النَّفخ وما يقع بعده من حشر النّاس وجمعهم، وفيه إشارة إلى أنَّ النَّفخ في الصّور هو كالسَّبب لحشرهم[5]، وذكره صريحًا مع تعيُّن أنَّ الحشرَ لا يكون إلّا يومئذٍ للتهويل.

إيثارُ لفظ ﴿وَنَحْشُرُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

حشْرُ المجرمين متزاحمين لونٌ من الإذلال لهم والاحتقار

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الحشر في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾؛ لأنَّ لفظ الحشر يدلُّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41، والبقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 341 - 342.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 304.
(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 5/ 425.
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 420.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 98.

على السَّوق مع الجمع، فهو سَوق النّاس بغاية جمعهم، وهذا يدلُّ على الاكتظاظ والتَّزاحم بين النّاس، فهم متراصّون مجموعون مساقون إلى ساحة الحساب، وذلك تعبير عن شدَّة الجمع، وسوء الحال ذلك اليوم.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة التَّعظيم في الحشر:

شـــدَّةُ الـفـعـل وعـظـمـتُـهُ من عظمة الآمرِ به

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الحشر بصيغة التَّعظيم، في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾، فلم يقل: (وأحْشُرُ المُجْرِمينَ)؛ وذلك للإشارة إلى أنَّ ذلك الحشر واقعٌ بعظمته تعالى، إشارة إلى عظمة ذلك الحشر، وأنَّه لا يقع إلّا من إلهٍ عظيمٍ.

سرُّ وضع الظّاهر ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ موضعَ الضَّمير:

نـهـايـةُ الإعـراض عـــن الـــقـــرآن التَّحقُّقُ بصفة الإجرام

صرَّح النَّظم الجليلُ بالاسم الظّاهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾، فلم يقل: (وَنَحْشُرُهُم)؛ وذلك لبيان الوصف الَّذي بسببه نالوا ما نالوا، والنَّتيجة الَّتي بلغوها بسبب اتِّصافهم بهذه الصفة التي نالوها بإعراضهم[1]، فدلَّ وضعُ الاسم الظّاهر هنا موضعَ الضمير على أنَّ مآلَ الإعراض عن الذِّكر سيكون الدُّخولَ ضمن زمرة المجرمين.

دلالةُ ظرف الزَّمان: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾:

تـهـويـلُ الـيـوم بـتـصـريـح ذكـــرِهِ؛ إعـلانًـا لـلـسّـامـعـين وتبليغًا لهم

صرَّح النَّظمُ الجليل بظرف الزَّمانِ دون الإضمارِ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾، فلم يقل: (يَوْمَ يُنفَخُ في الصُّورِ ونَحْشُرُ المُجْرِمينَ زُرْقًا)، مع أنَّ الحشر واضحٌ، وأنَّه لا يكون إلّا في ذلك اليوم؛ وذلك للتَّهويل من شأن ذلك اليوم[2]، "أي: إذا نُفِخَ في الصّور، وخرج النّاسُ من قبورهم، كلٌّ على حسب حالهِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 342.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41.

فالمتَّقون يُحشرون إلى الرَّحمن وفدًا، والمجرمون يُحشرون زرقًا ألوانُهم من الخوف والقلق والعطش، يتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدَّة الدُّنيا، وسرعة الآخرة"[1].

بلاغةُ الإيجازِ في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

دليلُ المقالِ يغني عن التَّكرار

أوجزَ النَّظْمُ الجليل في البيان بحذف المضاف إليه من الظَّرف (إذ)، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، وإنَّما ساغ الحذفُ لدلالة المذكورِ في صدر الآية عليه، والتَّقديرُ: (يوم إذْ يُنفخُ في الصّور)[2]، وقد عوَّض عن ذلكم بالتَّنوين.

نكتةُ إيثارِ لفظ ﴿زُرْقًا﴾ على غيره:

بيانُ أنَّ بشاعةَ المنظرِ دليلٌ على قبحِ المَخْبَرِ

آثر النَّظمُ البليغ التَّعبيرَ باللّون الأزرق، في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، دون غيره في التَّعبير عن زرقةِ العيون والجلود، تبشيعًا لحالهم وتنفيرًا منهم، وكان العرب لا يألفون الزُّرقةَ في العيون، كما أنَّ الزُّرقة في الجلود مبغوضةٌ، لما أنَّها تدلُّ على تلف الجلد عند تعرُّضِه للضَّرب، فكانوا ينفرون من هذا اللَّون أكثر من غيره[3].

علَّةُ فصلِ صدرِ الجملة ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ عمّا قبلها:

وصفُ حالِ الكافرين بحكايةِ ما يقولون مفيدٌ في البيان عن المراد

فصَل النَّظم الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ عن الجملةِ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا، فهي سيقت لبيان صفة أخرى من صفات الكفّار يوم القيامة، فهي تحكي ما يقوله بعضهم لبعض في ذلك اليوم على سبيل الهمس، وخفض الصَّوت[4]، فهم "يخفِضون أصواتَهم، ويُخفونها، لما يملأ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 342.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 98، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 150.

صدورَهم من الرُّعب والهول"[1]، أو هي حالٌ أخرى من المجرمين، أي: يقول بعضُهم لبعض بطريق المخافتة؛ لما يملأ صدورهم من هول ذلك اليوم.

نكتةُ إيثارِ لفظ ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ عمّا سواها:

بيانُ أنَّهم خارت قواهم عن رفعِ الصَّوت في الحديث

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ التَّخافت بصيغة الفعل المضارع، في قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾، وذلك لما في التَّخافُتِ من دلالة على سفالة الهِمَّةِ والضَّعف والجبن، فكشف التَّخافت عن امتلاء صدورهم من الرُّعب والهول، وأنَّهم قد صاروا بسبب ما اعتراهم من الخوف في نهاية الضَّعف، فلا يطيقون الجهر[2]، فدلَّ وصفهم بالتَّخافت على ذمِّهم وشدَّة ما يلاقون من أهوال في ذلك اليوم، وجاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع دلالةً على تجدُّد ذلك التَّخافت ودوامه، ولم يجدوا ما من شأنه أن ينهيَ تخافتَهم، بأن تطمئنَّ قلوبُهم، وتسكنَ نفوسهم، بل هم في خوف ووجل دائمٍ أخرسَ أصواتَهم وألجمهم رعبًا.

دلالةُ الظَّرفِ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ في السّياق:

بيانُ أنَّهم حصروا تخافتَهم لشدَّة هلعهم وخوفِهم

عبَّر النَّظمُ الجليل بالظَّرف المكانيِّ (بين) في قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾؛ لبيان أنَّ التَّخافُتَ منحصرٌ في حيِّز ضيِّق بينهم، فهم لا يعلنون تلك المقولةَ لغيرهم، تبيينًا لشدَّة هلعِهم وخوفهم، ولمّا كان التخافتُ - وهو المسارَّةُ بالكلام - قد يكون بين اثنين من قبيلتين، فيكون كلٌّ منهما خائفًا من قومه، أقلُّ عارًا ممّا لو كانا من قبيلة واحدة؛ لأنَّه يدلُّ على أنَّ ذلك الخوف طبعٌ لازم، دلَّ ذلك على لزومه وعمومه: ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي: يتكلَّمون خافضي أصواتِهم

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 98.

من الهيبة والجزع[1]، فهم منغلقونَ فيما بينهم أثناء ذلك التَّخافتِ، للدَّلالة على شدَّة التَّخافتِ، فهو تخافتٌ لا يتعدّاهم إلى غيرهم.

دلالةُ التَّعبيرِ بالاستثناء:

تـأكُّـد البـعـث يُشعر الكافرين في القبور بقِصر مدَّة اللُّبث

عبَّر النَّظمُ الجليل بأسلوب الاستثناءِ في قوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾؛ لبيان استقصارِهم مدَّةَ اللُّبث وسرعة انقضائها، وإظهارِ النَّدمِ على ما كانوا يزعمونه من أنَّه لا بعث ولا حساب، فتبيَّن لهم أنَّ البعثَ حقٌّ، وأنَّ الحساب حقٌّ، وأنَّ الأمرَ ليس كما ظنّوا، وتوهَّموا[2]، فجملة الاستثناء بيَّنت ما كانوا يتخافتون به، مؤكِّدة على أنَّ مدَّة اللُّبثِ لم تكن طويلة تعبيرًا عن شدَّة المفاجأة لهم بالبعث.

إيثارُ ﴿إن﴾ على (ما):

تأكُّدُ قصرِ المدَّةِ معبِّرٌ عن شدَّة المفاجأة

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بحرف النَّفي (إنْ) على (ما)، في قوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾، وذلك لما في النَّفي بـ(إنْ) من دلالة على النَّفي المؤكَّد، وقد كثر مجيئُهُ مع إلّا في الاستثناء والحصر، وذلك للدَّلالة على تأكيد مضمون القصر، كما أنَّ التَّوافق الصَّوتي بين ﴿إن﴾ و﴿إلَّا﴾ يخلع على القصر مزيدًا من قوَّة الدَّلالة.

نكتةُ إيثارِ فعل اللُّبث ماضيًا على المكث:

اللُّبثُ أقصرُ من المكث، وأنسبُ لمفاجأة البعثِ لهم

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ اللُّبث دون المكث في قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾، وذلك للدَّلالة على استقصار مدَّةِ إقامتهم إزاءَ ما يرون من الشَّدائد والمخاوف[3]، وهم إنَّما "يستقصرون مدَّةَ لُبثِهم في الدُّنيا، إمّا لما يعاينون مِنَ الشَّدائد الَّتي تذكِّرهم أيّام النِّعمةِ والسُّرور، فيتأسَّفون عليها، ويصفونها بالقصر؛ لأنَّ أيّام السُّرور قصارٌ، وإمّا لأنَّها ذهبت عنهم، وتقضَّت،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 342.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 150.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 343.

والذّاهب - وإن طالت مدَّتُهُ - قصيرٌ بالانتهاء"[1]، وفي الكشّاف: "وإمّا لاستطالتهم الآخرةَ، وأنَّها أبدٌ سرمد يُستَقْصَرُ إليها عُمرُ الدُّنيا، ويقال: لبث أهلُها فيها بالقياس إلى لُبثِهم في الآخرة... وقيل: المرادُ لُبْثِهم في القبور، ويعضدهُ قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ﴾ [الرّوم:55 - 56]"[2].

بلاغةُ الإيجازِ في ذكرِ العددِ ﴿عَشْرًا﴾:

بيانُ أنَّ حذفَ المعدودِ منبئٌ بقصرِ المدَّةِ الشَّديدِ

أوجزَ النَّظمُ الجليلُ بحذف المعدود، في قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾، أي: عشر ليالٍ، وإنَّما عبَّروا بذلك لاستقصار مدَّة لُبثهم، كأنَّهم قالوا: قد لبثتم، وما لبثتم في القبر إلّا مدَّةً يسيرة[3]، وإنَّما عبَّروا بالعدد عشرة؛ لأنَّهم لمّا رأوا الأهوالَ؛ ذُهلوا عن مقدار عمرهم في الدُّنيا، ولم يذكروا إلّا القليلَ، فقالوا: ما عشنا إلّا تلك الأيّامَ القلائل، والإنسانُ حين الشَّدائد والأهوال تغيب عنه أظهرُ الأشياء[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحشرُ والجمعُ:

الحشرُ أخصُّ من الجمع، فهو جمع مع سَوْق

الحَشْرُ الجَمعُ مَعَ سَوقٍ[5]، وهو جمعُ النّاسِ يومَ القيامَةِ، والمَحْشَرُ: المَجْمَعُ الَّذي يُحْشَرُ إليه القَومُ[6]، والمعنى في الآية: جمعناهُم إلى الموقف[7]، والجمع يدلُّ على تَضامِّ الشَّيْءِ[8]؛ وذلك بتقريب بعضه

(1) القاسميّ، محاسن التأويل: 7/ 147، والزّمخشريّ، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 3/ 87.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 87.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41 - 42.
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 149.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حشر).
(6) ابن منظور، اللّسان: (حشر).
(7) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 726.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جمع).

من بعض، يقال: جَمَعتُهُ فاجتَمَعَ، وقال ﷻ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: 9][1]، فالحشر أخصُّ من الجمع، لما فيه من دلالة على السَّوق، فآثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالحشر؛ للدَّلالة على سوق النّاس بغاية جمعهم.

التَّخافتُ والتَّهامسُ:

الخفتُ خفضٌ وإسرارٌ، أمّا الهمسُ فصوتٌ خفيٌّ

التَّخافتُ إسرارٌ وكِتْمانٌ، فالخَفتُ: إسْرارُ النُّطْقِ[2]، والخُفوتُ ضَعْفُ الصَّوْت مِنْ شِدَّة الجُوعِ، يُقالُ: صَوْتٌ خَفيضٌ خَفيتٌ، وخَفَتَ الصَّوتُ خُفُوتًا: سَكَنَ، والمُخافَتَةُ: إخْفاءُ الصَّوْتِ، وخافَتَ بِصَوْتِهِ: خَفَّضَه[3]، والهمس يدلُّ على خَفاءِ صَوْتٍ وحِسٍّ[4]، الهَمس: الخَفيُّ مِنَ الصَّوْتِ، وقَدْ هَمَسُوا الكَلامَ هَمسًا، قال تعالى: ﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾، أي: خَفْقَ الأقدامِ على الأرض، ويُقالُ: اهمِسْ، وصَهْ، أي: امشِ خَفيًّا واسْكُتْ، والهَمس: الكَلامُ الخَفيُّ لا يَكادُ يُفهَمُ[5]، فالهمس: هو الصّوت الخفيُّ، والكلام الملفوظ بتخافتٍ، فالهمسُ صوتٌ، والخفتُ خفضٌ، وقد آثر التَّعبيرَ بالتَّخافت للدَّلالة على أنَّهم يتكلَّمون خافضي أصواتهم[6].

(1) الرّاغب، المفردات: (جمع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خفت).
(3) ابن منظور، اللّسان: (خفت).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (همس).
(5) ابن منظور، اللّسان: (همس).
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 342.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»